

شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني - رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ. د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٢٢)

نتعلم في هذا الدرس:

١. آداب أصحاب الحديث وسلوكهم.

٢. علامات أهل البدع

[آداب أصحاب الحديث وسلوكهم]

ثم قال الشيخ رحمه الله:

(ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتما واجبا، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود، والجلوس بين السجدين مطمئنين فيه من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها).

فالطمأنينة في الأركان جميعاً من أركان الصلاة لا تتم الصلاة إلا بها، وعلى هذا يدل حديث المسيء صلاته، فإن النبي صلى الله عليه وسلم رده مرارا، كل مرة يقول: (ارجع فصلي فإنك لم تصل) لكونه لم يطمأن في صلاته.

ثم قال رحمه الله:

(ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والمنكح والملبس،

والسعي في الخيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، واتقاء سوء عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر).

هذه جملة من محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق التي جاءت بها الشريعة، وكل منها له أدلته من الكتاب والسنة، ومدارها على فعل الخيرات، وترك المنكرات.

وفي هذا فائدة مهمة لطالب العلم وهي أنه لا يكفي لطالب العلم أن يتقن مسائل العقيدة، ومسائل العلم وينصرف عن مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال مما فيه حسن معاشرة للخلق، وإصلاح بين الناس وغير ذلك، فإن بعض طلبة العلم يكون فيه نوع جفاء في معاشرة الخلق، فهو منكب على ضبط العلم، وتحرير مسائل الاعتقاد والعمل، ولكنه فيما بينه وبين الناس، بل فيما بينه وبين ربه عز وجل لا يكون كما ينبغي؛ فينبغي لطالب العلم؛ أن يحرص على التوازن في جميع أمورهِ، وأن يأتي كل خصلة من خصال الإيمان، حتى لا يفوته الخير، وحتى لا يسيء الناس الظن به، وبعمامة طلبة العلم، فينبغي ولوج جميع هذه الأبواب من أبواب الخيرات قدر المستطاع.

ثم قال رحمه الله:

(ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه، ويتقون الجدل في الله، والخصومات فيه).

هذه أيضاً من المسائل المهمة وهي الحب في الله والبغض في الله؛ فإنها أوثق عرى الإيمان، قال الله عز وجل: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} فينبغي أن يكون مدار الحب والبغض، والموالاتة والمعاداة على أمر الدين؛ فيحب في الله ويبغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله، كما أنه ينبغي اتقاء الجدل في الله والخصومات فيه، فإنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما ضل قوم بعد هدى كان عليه إلا أوتوا الجدل)).

ولا خير في الجدل؛ فإنه أفسد من كان قبلنا، وينبغي لطالب العلم أن يربأ بنفسه، وأن يطهر علمه من مسائل الشغب، والخصومات واللغو، مما يولد لبعض المشاغبيين، والبطالين الاشتغال به، فإن من الناس، عافانا الله وإياكم؛ ما أن يسمع بخصومة أو شغب أو خلاف، حتى يطير بها في كل مطار، ويتحدث بها في كل مجلس، ويجمع لها

من الأوراق والأشرطة وغير ذلك، ما يثير به الخصومة والشغب بين المسلمين، وينبغي لطالب العلم أن يترفع عن هذا، وأن يكون على خلق كريم، وأن يتعدى في الخوض عن أعراض الناس، والوقية فيهم، وتصنيف العباد، وغير ذلك مما ابتلي به كثير من الناس في هذه الأزمنة، وأن يعلم أن للعلم مقاما وقدرًا وجلالة، لا يليق أن تلتخ بهذه الأغلوطات.

ثم قال رحمه الله:

(ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات).

هذا من ثمرة حبه في الله وبغضهم في الله، فإنهم إذا أحبوا في الله أبغضوا من ابتدع في دين الله، ومن أراد إضلال عباد الله، وعادوا أصحاب الأهواء والجهالات.

قال رحمه الله: **(ويقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فيهم).**

نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يقول ذلك في أصحابه لا تثبت، فإن هذا الحديث قد ضعفه الألباني رحمه الله، وذكره في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة))، وقال غيره هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن رصين مجهول.

قال رحمه الله: **(ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين).**

لا شك أن اتباع سبيل السلف هو النجاة، قال الله عز وجل {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}، فسبيل المؤمنين هو سبيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين هم القرون المفضلة.

(قال: **ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه**) البدعة: طريقة في الدين مخترعة، يقصد بالسير عليها المبالغة في التعبد لله عز وجل، ومضاهاة الشريعة.

قال - رحمه الله: **(ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت،**

وجرت إليها من الوسوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}**.

هذه هي طريقة السلف في معاملة أهل البدع؛ مجانبتهم ومقاطعتهم، وهجرانهم، وعدم مجالستهم ولا مناظرتهم، اللهم إلا أن يكون في مقام يخشى من ضررهم على الناس؛ فحينئذ يقيمون عليهم الحجة، ويردون باطلهم. وفائدة هذه الطريقة، أنها تमित البدعة، أما إذا كان كل مبتدع اجلب بخيله ورجله، وشغب؛ ألقينا له بالا، وقمنا نوجهه في المجالس ونجعل له مقاما، فإن هذا ينشر بدعته، فيظن العامة أنه من أهل العلم، وأن عنده شيء، لكن إذا أهمل وترك، فإن بدعته تنطمس بإذن الله تعالى.

علامات أهل البدع

قال رحمه الله: **(وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة — وفي بعض النسخ (وجبرية) وظاهرية ومشبهة، اعتقاداً منهم في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقى الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووسوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير العاطلة وحججهم بل شبههم الداحضة الباطلة {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ}، {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}**.

ذكر الشيخ رحمه الله علامة لأهل البدع، هي أوضح علاماتهم؛ وهي بغضهم لأهل الحديث، بغضهم لرواة سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، واحتقارهم إياهم وازدراؤهم لهم، ونبذهم بألقاب السوء، لأن أهل البدع يعلمون أن السنة هي السلاح الذي يستأصل شأفتهم، ويحطم باطلهم، فلذلك عادوا حملتها ونقلتها، وصاروا يسبونهم ويسخرون منهم، وينبذونهم بألقاب السوء، كأن يقولوا حملة أسفار، كمثل الحمار يحمل أسفار، عياداً بالله، وكتبهم بألقاب السوء التي هم أولى بها كقولهم: حشوية نسبة إلى الحشو، وحشو الكلام هو الكلام الفارغ الذي لا طائل من وراءه، وحشو الناس، هم الرعاع الذين لا يؤبه لهم، والله إن أهل البدع أولى بهذا الوصف.

قال: وجهلة، نسبة إلى الجهل، أو جبرية نسبة إلى القول بالجبر كما سيتبين لاحقاً، وظاهرية بزعم أهل البدع أن أهل الحديث يجمدون على ظواهر النصوص وأنهم لا يدركون مراميها، ومشبهة بزعمهم أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه والتمثيل.

ثم بين الشيخ سر هذه المعادة فقال:

(اعتقاداً منهم في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أنها مجزول عن العلم).

فرغم هؤلاء المبتدعة من المعتزلة والجهمية وأمثالهم أن العلم الحق هو ما تلقوه عن فلاسفة اليونان من أمثال: أفلاطون وأرسطو، وغيرهم، وأن العلم النبوي ليس منطوياً على علم، وإنما هو علم للعامة يجمل بالعامة تعلمه، وأما الحذاق فإنهم أرفع منه، هذا ما في قلوبهم والعياذ بالله.

ثم ساق بسنده فقال:

(سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول: سمعت جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي يقول: سمعت أحمد بن سنان القطان يقول: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه).

ولهذا لا تجدون في أئمة المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وأمثالهم؛ من هو معروف برواية الحديث، أو أنه من مدوني السنة، وإنما عامة مؤلفاتهم في القيل والقال، لا في قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، ولذلك ندموا على اشتغالهم بعلم الكلام، حتى قال أحد أساطينهم:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

عياداً بالله، ثم قال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أرها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} أي فأثبت، وأقرأ في النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} أي فأنزه، ومن جرب مثل تجربتي؛ عرف معرفتي.

قائل ذلك هو الرازي وهو من أساطين الأشاعرة، فهذه توبة منه عفا الله عنه، في آخر عمره، يندم فيها على اشتغاله بعلم الكلام.

ثم قال أبو عثمان:

(وسمعت الحاكم يقول: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت محمد بن إسماعيل الترمذي يقول كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق زنديق زنديق، حتى دخل البيت).

انظروا كيف غضب وحرده رحمه الله لمقالة هذا القائل الذي ذم أهل الحديث ووصفه بالزندقة.

قال أبو عثمان:

(وسمعت الحاكم أبا عبد الله يقول: سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول: سمعت أبا نصر بن سلام الفقيه يقول: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده، وسمعت الحاكم يقول: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه وهو يناظر رجلاً فقال الشيخ أبو بكر: حدثنا فلان، فقال له الرجل: دعنا من حدثنا! إلى متى حدثنا؟) - عياذاً بالله - انظروا كيف يضيعون زرعاً بالرواية —

(فقال الشيخ له: قم يا كافر فلا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا أبداً، ثم التفت إلينا وقال: ما قلت لأحد قط لا تدخل داري إلا هذا).

يعني أنه وحده الطريد، ولذلك لشدة مقاتته، والعياذ بالله، وعزوفه وزهده بالسنة المطهرة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.